بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي لأهل البيت

رسالة الثقلين

هدية
الشهيد الشيخ مهدي العطار
لمكتبة الروضة الحيدرية

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٥٣٥
التاريخ ١٨/١١/٢٠٠٦

مجلة إسلامية جامعة

العدد الخامس. السنة الثانية. محرم - ربيع الأول ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المراسلات والاتصالات مع هيئة التحرير على العنوان التالي:
* الجمهورية الاسلامية الايرانية - قم ص.ب: (٨٩٤ - ٣٧١٨٥) هاتف: ٧١٠٧٧١ فاكس: ٢٥١٧٩ .

رسالة الثقلين

مجلة إسلامية جامعة

- تعنى باحياء المعارف الأسلامية من منبع الثقلين
والدفاع عن حريم القرآن الكريم وسنّة الرسول الشريفة وخط أهل البيت الاطهار عليهم السلام.
- تستقبل نتاجات العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين
التي تصبّ في رسالة الثقلين لتكريس وحدة الامة الاسلاميّة وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم.
- الآراء الواردة في الموضوعات لاتعبّر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة.
- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنّية.
- يُرجى ممن يرفد المجلة بنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر.

فهرست محتويات العدد الخامس من مجلة رسالة الثقلين

■ كلمة التحرير

* أهل البيت ومصلحة الاسلام العليا ٤

■ من آفاق القيادة الاسلامية

* عاشوراء دروس وعبر - ولي أمر المسلمين السيد الخامنئي (دام ظلّه) ١٢

■ دراسات

* دور أهل البيت في بناء الكتلة الصالحة (٤) - سماحة السيد محمد باقر الحكيم (العراق) ٢٢
* الحب الإلهي في أدعية أهل البيت(ع) - سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي ٧١
* الاسلام ومتطلبات الحياة العصرية من وجهة نظر الشهيد المطهري(٢) ١٤٢
الشيخ مجتبى المحمودي
* المرجعية الدينية أمام الاتجاهات الفقهية - سماحة السيد محمد حسين فضل الله (لبنان) ١٢٦
* المدرسة الاستشراقية الفرنسية (٢) - الشيخ فؤاد كاظم المقدادي (العراق) ١٧٥

■ من فقه مدرسة أهل البيت (ع)

* أحكام الحرب والاسرى في الاسلام - سماحة الشيخ محمد علي التسخيري ٥٦

■ من غرر حكم أهل البيت (ع)

* الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - إعداد الشيخ عباس كوراني (لبنان) ٢٢٩

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

العدد الخامس. السنة الثانية.
محرم ـ ربيع الأول ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

المجمع العالمي لأهل البيت

■ تعريف

* كتاب: معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيته (ع) ـ الشيخ أبو صادق (العراق) ١٠٢

■ فنون وآداب

* قصيدة (بين يدي الحسين) ـ مصطفىٰ الغماري (الجزائر) ٩٤
* خاطرة (نشيد الرفض والجراح) ـ أبو ثريا (العراق) . ١٩٨
* عظة وعبرة (ما المفلس) ـ أسامة البصري (العراق)

■ سؤال وجواب

* أسئلة شرعية من المركز الاسلامي في واشنطن ـ سماحة الشيخ محمد المؤمن ١٣٤

■ شبهة ورد

* نفي تحريف القرآن (١) ـ سماحة الشيخ محمد هادي معرفة..... ٣٨

■ تقرير

* حضور الوفد الاسلامي الايراني في الندوة الثامنة لمجمع الفقه الاسلامي الدولى في برونای..... ٢٢٢
* المجمع العالمي وقضايا المسلمين ١٥٧

■ استطلاع

* المسلمون في البلقان (٢) ـ المركز الاسلامي للابحاث السياسية (قم المقدسة)..... ٢٠٠

■ تحقيقات

* رواة حديث الثقلين (١) ـ عبد الكريم رؤوف (العراق)..... ١٠٧

■ من أنباء القرىٰ

* أنباء و تقارير ٢٣٦

هدية
الشهيد الشيخ مهدي العطار
لمكتبة الروضة الحيدرية

المدرسة الإستشراقية الفرنسية

(٢)

الشيخ فؤاد كاظم المقدادي ـ العراق ـ

استعرضنا في الحلقة السابقة معلمين وبعدين من معالم وأبعاد المدرسة الإستشراقية الفرنسية[1]. وفيما يلي القسم الثاني من دراستنا الذي نتناول فيه بقية المعالم والأبعاد الأساسية لهذه المدرسة الاستشراقية.

٣ـ مناطق نفوذ المدرسة الإستشراقية الفرنسية:

إن الاقتران الذي أكدناه في حركة الإستشراق بالتبشير والإستعمار يحتم علينا جدلاً أن نجعل من مناطق النفوذ السياسي والثقافي لفرنسا مجالاً أساسياً للاستشراق الفرنسي علىٰ نحو التمهيد أو الترسيخ لتلك الحركة السياسية والثقافية، سواء أكانت علىٰ شكل عمل تبشيري بكافة أبعاده الثقافية والدينية، أو نفوذ اقتصادي أو استعمار عسكري مباشر. ومن خلال استعراض الجغرافية السياسية لمناطق النفوذ الفرنسي نجدها تحتل رقعة واسعة ومهمة من مناطق الوطن الاسلامي.

وقد بدأ الاستشراق الفرنسي عمله الميداني المباشر عندما اكتُشف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٨٨ م، فتدفّق المستشرقون بعناوينهم المتعدّدة كعلماء ومنقبين عن الآثار

---

(١) كان أولها: الميّزات الأساسية التي تميزت بها هذه المدرسة، والعوامل التي كمُنت وراء هذه الامتيازات من عداء وحقد دفين علىٰ الاسلام كدين وحضارة. وروح صليبية متعصبة، وعنصرية متطرفة للثقافات والانتماءات الفرنسية ونزعه استعلائية إستكبارية في البعد الإيديولوجي والحضاري. وكان ثانيهما: نشأة هذه المدرسة وعوامل تطورها ونموّها.

وكمبشرين للنصرانية. وقد سبق هذا الانتشار افتتاح مراكز للتبشير في إفريقيا السودا
كان أولها في الكونغو عام ١٤٩١ م، فعملت علىٰ التعرّف علىٰ هذه القارة، والتمهيد
بالتعاون مع عصابات تجار الرقيق لدخول فرنسا كأكبر قوّة غازية ثقافيّاً واقتصادي
وعسكرياً لهذه القارة[١].

وممن انتحل صفة الاستكشاف والبحث والتنقيب الكاردينال لافيجري[٢] الذي عمل
وبشكل فاضح وصريح علىٰ تكريس الوجود الاستعماري الفرنسي من خلال عمله. وقد
أعلن عن ذلك في معرض حديثه عن إفريقيا، وأبدىٰ أسفه الشديد من عدم تمكّنه من
نشر النصرانية بين المسلمين وخصوصاً الجزائريين بقوله : إنه أراد أن يحبّب فرنسا إلى
الناس باسم المسيح[٣].

وقد تبلورت وتحددت مناطق النفوذ الفرنسي خصوصاً في القارة الافريقية، وقد
بدأت عملية الإخضاع العسكري المباشر للنفوذ الفرنسي بالجزائر عام ١٨٣٠ م، ثم
تونس عام ١٨٨١ م، ودخلوا السنغال عام ١٨٥١ م، أما بنين (داهومي سابقاً) فقد احتلتها
فرنسا عام ١٨٩٤ م. ومنذ عام ١٨٥٤ م خاض الإستكبار الفرنسي من خلال السنغال عدة
محاولات لاحتلال موريتانيا حتىٰ تم له احتلالها في عام ١٩٠٣ م، أما احتلال بلاد الشام
(سوريا ولبنان) فقد تم في مطلع هذا القرن[٤]. كما امتد النفوذ الفرنسي وثبّت أقدامه في
مسقط وزنجبار عام ١٨٨٤ م عندما عقدت فرنسا معاهدة مع سعيد بن سلطان، حاكم
هاتين المنطقتين، كما حصلت في عام ١٨٩٩ م علىٰ تنازل من سلطان مسقط تحصل

---

(١) محمود، سامي ـ انتشار الاسلام والدعوة إليه : ٤٣ ـ ٤٤.
(٢) لافيجري (١٨٢٥ ـ ١٨٩٢ م) كردينال فرنسي اهتم بشؤون الشرق، رئيس أساقفة الجزائر. أسس جمعية الآباء البيض عام ١٨٦٨ م. بدأ حياته مبشراً في شمالي إفريقيا والسودان، كلّفه بذلك البابا بيوس التاسع (١٨٤٦ ـ ١٨٧٨م) نفسه.
(٣) فروخ، عمر. والخالدي، مصطفىٰ ـ التبشير والاستعمار : ٢٤٧.
(٤) انتشار الإسلام والدعوة اليه : ٤٠ - ٤٩ والخطابي وجمهورية الريف.

بموجبه على مستودع للوقود بطريقة الإيجار في ميناء الجصة[1]، وقد نافس الفرنسيون الانجليز على شبه القارة الهندية واشتبكوا معهم في صراع اقتصادي سياسي عنيف حتى اضطروا لتأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في «بندر عباس» في نفس العام في مقابل شركة الهند الشرقية البريطانية[2]. على ضوء مقررات مؤتمر برلين الذي انعقد في عام ١٨٧٨ م والتي وضعت اسس هذا النفوذ وحاولت أن تخفف من أسباب الصراع بين الدول الأوربية، وخصوصاً بين فرنسا وانجلترا حول القاره الافريقية[3]. وبعد وضوح حدود النفوذ الفرنسي في افريقيا بدأت حركة واسعة لإخضاع شعوبها الى الثقافة الفرنسية وبشتى الصيغ والأساليب[4].

٤ـ صيغ وأساليب المدسة الاستشراقية الفرنسية وتشكيلاتها:

إن من أبرز وأهم الأساليب والتشكيلات التي اعتمدتها هذه المدرسه في عملها الاستشراقي والتي أثرت في النتائج اثراً بليغاً حقق أغلب الأهداف والمرامي المتوخاة منه وهي :-

أ ـ تسخير المبشرين والأقليات النصرانية واليهوديه المتواجدة في البلدان الاسلامية لتجميع المعلومات الأولية والدراسات الميدانية عن الإسلام والمسلمين في بلدانهم لتكون مادة اولية بين يدي المستشرقين لينطلقوا منها ويتابعوا تفصيلاتها ويخضعوها للبحث والتحليل ضمن الخطط الموضوعة لذلك من قبلهم، وقد تمّ ربط النصارى من مواطني البلدان بالتشكيلات التي اعتمدتها فرنسا عن طريق الحصول على امتيازات

---

(١) السياسة الفرنسية : ٣٦١.

(٢) الخطيب، مصطفى عقيل اسحاق ـ التنافس الدولي في الخليج، السياسة الفرنسية : ٣٨٤.

(٣) لكاتب هذا البحث ـ السياسه الفرنسية في الشرق الاوسط : ٨٢

(٤) ففي عام ١٨٩٨ م كتب البابا ليون الثالث عشر الى الكاردينال لانجينو ما يلي : «لقد علمنا برضا كامل ... بأن تفكير شخصيات بارزة يتجه نحو تكوين لجنة وطنيّة في فرنسا للحفاظ على الحماية الفرنسيّة في الأراضي المقدّسة والدفاع عنها ... فعسى ان تضمن هذه الجهود المتحدة وجوداً مستقراً للكنسية الكاثوليكية في الشرق لكي تعمل بنجاح على نشر الايمان الحقيقي ولعودة الرعايا الضالين الى حضيرة المراعي الكنسي الأوحد والاعلى». مجلة المنتقى ـ العدد الأول : ٦٧ ابريل ١٩٨٣ م.

خاصّة بحجة «حماية المسيحيين، في الإمبراطورية العثمانية»[1].

ولم يكتفوا بذلك بل أخذوا باعداد وتربية مبشرين محليين من خلال مدارس اكليركية يتخرج منها ما يسمىٰ بالاكليروس المحلي، خصوصاً وان عامل اللغة يعدّ اساساً في اداء الدور الأمثل لهؤلاء المبشّرين المحليين، وفي هذا الصدد يركز مؤرخو تلك الفترة : ان اليسوعيين لجأوا بعد سنوات من العمل المتواصل والدؤوب الى إعداد «الدعاة المحليين» أملاً في تثبيت مستقبل العمل التبشيري في المشرق، وسعياً لتجاوز عائق اللغة الذي كان يقلق مرسليهم ويعرقل صلتهم اليومية بالذين يتوجهون اليهم، لأن المبشرين لا يعرفون العربية لغة السكان في هذه المناطق[2].

لذا وتثبيتاً لمستقبل هذه الأرساليات، ضم اليسوعيون مساعدين لهم من أهل البلاد، بعد اختيارهم بدقة وعناية، لأن بامكانهم ممارسة نفوذ وتأثير يعجز عنه الاجانب غالباً.

«لقد كان ذلك تطبيقاً للقاعدة الحكيمة التي طالما نادىٰ بها البابا ليون الثالث عشر

---

(١) يشير الى ذلك G. Bouchad أحد مسؤولي البعثات الفرنسية حيث قال : «... في هذا القرن [القرن التاسع عشر] دخلت اوربا في عصر جديد من التوسع العسكري والسياسي بدأ مع الثورة الصناعية التي قلبت الأوضاع الاجتماعية والفكريّة داخل اوربا وأدت إلى ولادة الرأسماليه، وخروج اوربا من حدودها لمواجهة الكتلة الإسلامية الضخمة المتمثلة في «الإمبراطورية العثمانية» المترامية الأطراف وكانت الإمتيازات التي حصلت عليها دول اوربا «لحماية المسيحيين» داخل «الامبراطورية» حجة وجسراً عبرت عليه البعثات المختلفة الى الطوائف المسيحية والأقليات الدينية، تحميها شرعيّة القنصليات والسفارات، أو القوة العسكرية المباشرة، فأسست مدارسها الخاصة بها، وأرست اسس نظام تعليمي يستلهم الثقافة الاوربية ويبشر بها. الدكتور عتريسي، طلال ـ البعثان اليسوعية : ٢٤.

(٢) هذه الحاجة الماسة والمتناهية لهؤلاء «الدعاة» يعبر عنها أحد الاباء المسؤولين في دمشق عام ١٨٦٠ م بقوله :

لا اكليروس محلي بدون مدرسة اكليركية، ولا مستقبل للارساليات في المشرق في غياب الأكليروس المحلي. ان إرسال البعثات مفيد ولا شك، خاصة وسط هذه الامم الجاهلة والكسولة.لكن المؤسسة الاوربية ليست مؤسسة صلبة بشكل كاف، لأن جذورها لا توجد في البلد نفسه ... والسبب الذي يدعونا لتكوين اكليروس محلي هو عينه الذي يدفعنا لإعداد اساتذة محليين أيضاً .. إن المعلم والمعلمة العربيان يستطيعان الذهاب، وكل بمفرده، الىٰ أية قرية، فهما متكيفان مع اللغة والمناخ والعادات والغذاء مع بؤس البلد. كما يكفي الواحد منهما مئة فرنك في السنة. شقالبيه، مجمَع جبل عامل : ٢٦٧.

وهي اغواء الشرق بواسطة الشرقيين أنفسهم»[1].

واتسعت فكرة استثمار النصارى والأقليات المذهبية الاخرىٰ من أبناء الشرق لتشمل اليهود، خصوصاً في بعض المناطق التي كانت لهم فيها طموحات دينية وتاريخية كفلسطين، حيث ذهب بعضهم الى: «ان المبشرين كانوا مقتنعين جداً بأن جمع اليهود في فلسطين يسهّل لهم مهمتهم في الوصول الى المسلمين، من اجل ذلك ارادوا أن يفتحوا أبواب فلسطين علىٰ مصاريعها لهجرة اليهود»[2].

«فليس من المستغرب إذن أن تجد سبعاً وعشرين جمعية تبشيرية مختلفة الجنسيات كانت تعمل بلا مَلل في فلسطين»[3].

ب - إعتماد اسلوب ضخ اكبر عدد من المستشرقين الفرنسيين من ذوي الاختصاصات التبشيرية الى بلدان الشرق الاسلامي.

لقد أعدت فرنسا جيشاً من المبشرين والمستشرقين الذين ينتشرون في افريقيا ولبنان، ويذكر مالك بن نبي: «أن المستشرق الفرنسي (ماسنيون) قد تفرغ آخر حياته للتبشير ومدّ وزارة الخارجية الفرنسية بالمعلومات والتوصيات حول البلاد الاسلامية وتهيئة العملاء والكتاب»[4].

ويكفي أن نشير الى الرقم الآتي ليعبر عن مدىٰ العمق الرابط الوثيق بين الصليبية والرهبانية الفرنسية وبين الاستشراق والاستكبار، فقبل الحرب العالمية الاولىٰ بلغ عدد المبشرين المرتبطين بالمقام البابوي ٧٣٠٠٠ مبشراً، كان ثلاثة أرباع هؤلاء من التابعية الفرنسية الذين توجهوا الىٰ سوريا وفي مجال التعليم.

أما «مؤسسة الدّعاية»، وهي منظمة صليبية تبشيرية فرنسية، فقد أصدرت عام ١٨٨٨ م هذا التعميم: «إننا نعلم بأن الحماية الفرنسية قائمة في المشرق منذ عدة

---

(١) Bullet in dóeuvres des ecoles dórient 1862 : 210 - 212.

(٢) Christion Mission 188.

(٣) Richter 238.

(٤) د. الخالدي مصطفىٰ، د. فروخ، عمر - التبشير والاستعمار: ٢٢١.

قرون، ولقد تأكدت هذه الحماية من خلال المعاهدات الموقعة بين الحكومات، لذلك يجب أن لا يتم أي تغيير على الاطلاق بخصوص هذه النقطة. يجب الحفاظ دينياً على هذه الحماية أينما كانت سارية، كما يجب أن تعلم البعثات التبشيرية بان تلجأ عند الحاجة ـ لأي عون ـ الى قناصل وممثلي الامة الفرنسية»[1].

ج ـ توجيه المبشرين الفرنسيين للتخصص في الاستشراق ورسم مناهجه بما يخدم الأهداف الثقافية والسياسية للاستكبار الفرنسي.

فقد تلبّس المبشرون بجميع المظاهر حتىٰ في ثوب المستكشفين الذين ظهروا أمام العالم علماء أعلاماً بل ان نابليون حوّر وطوّر من أساليب الاحتواء الاستشراقي لمصر قبل وبعد احتلالها باستخدام ادوات المعرفة والقوة الغربيتين. ومنذ ذلك التاريخ تغيرت لغة الاستشراق ذاتها تغيراً جذرياً، فقد ارتقت واقعيتها الوصفية وغدت لا مجرّد اسلوب للتمثيل، بل لغة، بل بالأحرىٰ وسيلة للخلق[2].

لقد اصبح المستشرقون، خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، جماعة اكثر جدية، لان ابعاد الجغرافيا التخيليّة والواقعية كانت بهذا الوقت تقلصت، اذ أن العلاقة الشرقية الاوربية كانت قد تحددت بتوسع اوربي لا يُصدُّ بحثاً عن الاسواق والمصادر الطبيعية والمستعمرات. واخيراً، لان الاستشراق كان قد أنجز تقمُّصَه وتحوّله من انشاء بحثيّ الى مؤسسة إمبريالية[3].

ولقد اصبحت باريس لفترة تنوف علىٰ النصف الاول من القرن التاسع عشر عاصمة للاستشراق (وعاصمة القرن التاسع عشر نفسه، كما يرىٰ فالتر بنجمن)[4].

وتكفي للاحاطة بهذه الحقيقة المراجعة لكتاب جُول مول «سبعة وعشرون عاماً من تاريخ الدراسات الشرقية»[5].

---

(١) مجلة المنتقىٰ ـ ع ١: ٦٨ آبريل ١٩٨٣ م.
(٢) سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ٥١، ١١٢.
(٣) سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ١٢٠.
(٤) سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ٨٢
(٥) وهو سجّل في مجلّدين لكل ما له من قيمة من أحداث في الاستشراق بين ١٨٤٠ م ـ ١٨٦٧ م، وقد كان مول

د ـ خلق ارضية الارتباط الروحي والمعنوي بفرنسا والعمل علىٰ تشـويه الثقـافة الاسلامية وإثارة الشبهات حول الاسلام والحركات الاسلامية باعتبارها عقبة اساسيّة امام ترسيخ اتجاهات الفكر الاستكباري[1].

ويؤكد هذه الميزة أيضاً منهج السياسة الفرنسية في التعامل مع الشرق والتي تتمثل بمقولة: «اذاكان لفرنسا أن تستمر في منع «عودة الاسلام» فقد كان من الخير لها أن تحتلَّ الشرق، وكانت هذه منظومة طرحها كريساني وثنّىٰ عليها السيناتور بول دومر. وقـد كُرِّرت هذه الآراء في مناسبات كثيرة، وبالفعل فقد نجحت فرنسا بمفردها في شمال افريقيا بعد الحرب العالمية الاولىٰ»[2].

ويحذر الكاردينال لافيجيري من خطر قوة الاسلام وتهديدها للتطلعات الفرنسية في الشرق فيقول: «وبينما كان الاسلام علىٰ وشك ان ينهار في اوربا مع عرش السلاطين «من آل عثمان» كان لا يزال ناشطاً في تقدمه وفتوحه علىٰ ابواب مملكتنا الافريقية»[3].

ولا يجد هؤلاء مناصاً من الامعان في تشويه الاسلام تحقيقاً للهدف الاساسي في

هذا أميناً للجمعية الآسيوية في باريس.

(١) وهذا ما يؤكده المتخصصون في دراسة الاستشراق، فعند المقارنة والتمييز بين المدرسة الاستشراقية الفرنسية والمدرسة الاستشراقية البريطانية مثلاً يقولون: (..في عرف برِّيس ـ موريس بريِّس مؤلف كتاب «اكتناه بلدان شرق المتوسط» وهو سجل لرحلة عبر الشرق الادنى عام ١٩١٤ م ـ ان الحضور الفرنسي يُرىٰ بافضل صورة في المدارس الفرنسية ... وإذا كانت فرنسا لا تمتلك مستعمرات في الشرق فعلياً، فانها ليست دون ممتلكات بصورة مطلقة .. ثمة، في الشرق، شعور حول فرنسا هو من الدينيّة والقوة بحيث انه قادر علىٰ أن يتمثل، ويصالح بين تطلعاتنا الأكثر اختلافاً وتنوعاً. ففي الشرق، نمثل نحن الروحانية، والعدالة، وفُصْلَةَ المثالي ... نحن نمتلك الأرواح الشرقية ... كيف نستطيع ان نشكل لانفسنا نخبة فكرية نقدر علىٰ العمل معها، تتألف من شرقيين لن يكونوا قد اقتلعوا من جذورهم، شرقيين يستمرون في الارتقاء تبعاً لمعاييرهم الخاصة، وتظل تخترقهم تقاليد العائلة، ويشكلون، هكذا، رباطاً بيننا وبين جماهير السكان الأصليين؟ كيف سنخلق علاقات بهدف تـمهيد الطريق لاتفاقيات ومعاهدات ستكون هي الشكل المرغوب فيه لمستقبلنا السياسي «في الشرق»؟ هذه الاشياء جميعاً في النهاية ذات مدار واحد، هو تنمية ذوق استمراء لدىٰ هذه الشعوب الغربية للبقاء علىٰ اتصال بذكائنا، رغم ان هذا الذوق قد ينبع في الواقع من حسّهم الخاص بمصيرهم القومي. سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ٢٥١.

(٢) سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ٢٣٤.

(٣) Pottier 113.

إضعاف قوته وردم سدوده امام غزوهم الثقافي واستعمارهم السياسي والعسكري، حتىٰ وصل بهم الامر الىٰ ان يقول احدهم : «إن الاسلام مقلد، وإن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أُخذ من الوثنية كما هو أومع شيء من التبديل»[1]، ويبلغ التدجيل ذروته بجون ثاكلي أن يقول عن المسلمين : «يجب ان نستخدم كتابهم [اي القرآن الكريم]، وهو اقصىٰ سلاح في الاسلام، ضد الاسلام نفسه لنقضي عليه تماماً. يجب ان نري هؤلاء الناس ان الصحيح في القرآن ليس جديداً، وان الجديد فيه ليس صحيحاً»[2].

وفي معرض اثارتهم للشبهات حول الحركات الاسلامية كتب يوليوس رشتر عن ثورة المهدي علىٰ الانجليز في السودان قائلاً في وصفها : «... هذا التعصب الاسلامي الضيق الأُفق بكل ما فيه من بغضٍ للثقافة»[3].

هـ ـ الدعوة الىٰ تطوير الاسلام كاسلوب للدس فيه وتشويه معالمه. فمن انجازات المستشرقين الكبيرة ـ وفي مقدمتهم المستشرقين الفرنسيين ـ انهم اثاروا في قلوب قادة العالم الاسلامي اليوم وزعمائه ـ ممن تثقفوا في مراكز الغرب الثقافية الكبرىٰ أو درسوا الاسلام بلغات الغرب ـ شبهات حول الاسلام والمصادر الاسلامية، وأحدثوا في نفوسهم بأساً كبيراً في الحث علىٰ نعرة «إصلاح الديانة» و«إصلاح القانون الاسلامي»[4] ومن ابرز هؤلاء المستشرقين الذين بذلوا عناية خاصة بهذه الدعوة هو المستشرق الفرنسي ماسينيون، فقد كان له حضور رئيسي في العلاقات الإسلامية الفرنسية، في السياسة كما في الثقافة، وكان بوضوح رجلاً ذا شبوب انفعالي آمن بان عالم الاسلام يمكن اختراقه لا عن طريق البحث، حصرياً، بل عن طريق تكريس النفس لجميع اوجه نشاطاته، التي لم يكن اقلها عالم المسيحية الشرقية المنضوية ضمن الاسلام والتي تلقت

---

(١) Islam and Missions 43.

(٢) Islam and Missions 217f.

(٣) Julius Richter 366.

(٤) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية : ١٧٨.

احدىٰ جماعاتها الفرعية، الجمعية الخيرية البدلية، تشجيعاً حاراً من قبل ماسنيون[1].

ويؤكد هذه الدعوة، التي اخذت اتجاهاً عاماً في اغلب الدراسات الاستشراقية، التركيز والاهتمام الشديد الذي اولاه المستشرقون الفرنسيون بالدراسات الاسلامية، وهذا نابع من روحهم الصليبية وغرضهم الرئيسي، وهو تحديد نقاط ضعف المسلمين ومحاولاتهم فهم الاسلام لكي ينفذوا الى المجتمع الاسلامي عن طريق ذلك.

و ـ توقيت حركة المستشرقين الفرنسيين وتغلغلهم في البلاد الاسلامية بما يمهد لمقدمات الغزو الفرنسي لهذه البلدان، وتحكيم السياسة الفرنسية فيها[2].

بل إن دور المستشرقين أخذ مدىٰ اكبر من ذلك عندما اصبح التنافس الاستكباري يدفع بالمستكبرين الى ادخال دول الشرق بمنظورهم الاستعماري في مجال الاستشراق، بحيث أن فرنسا بدت حرفياً مشبوحة ببريطانيا، حريصة في كل ما يتعلق بالشرق علىٰ اللحاق بالبريطانيين ومحاكاتهم. وحين صاغت الجمعية للهند الصينية في أواخر الـ ١٨٧٠ م (ات) أهدافها وجدت مهماً أن «تدخل الهند الصينية في مجال الاستشراق» لماذا؟ من أجل أن تحيل صين كوشين إلى «هند فرنسية»!

وقد طرح جغرافي بارز هو «لارونسيير لونوري» منظومة تقول : «إن قوّة توسع العروق الاوربية واسبابه وعناصره وتأثيراته علىٰ المصائر البشرية ستشكل مادة دراسة جميلة للمؤرخين في المستقبل»[3]. ولهذا تجد أن «أكثر الارساليات مساهمةً في تحقيق انتداب فرنسا علىٰ سوريا ولبنان هي الإرساليّات الفرنسيّة»، «لأن من بين الاثني عشر ألفاً

---

(١) سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ٢٧٠.

(٢) من الارقام الكاشفة عن هذه الحقيقة إن عدداً كبيراً من مترجمي نابليون كانوا تلاميذ «سلفستر دوساسي» الذي كان ـ بدءاً من حزيران عام ١٧٩٦ م ـ المدرس الأول والأوحد للعربية في المدرسة الأهلية للغات الشرقية. واصبح ساسي، فيما بعد تقريباً معلماً لكل مستشرق بارز في اوربا، حيث سيطر تلاميذه علىٰ هذا الحقل ما يقارب ثلاثة ارباع القرن. وكان كثيرون منهم نافعين سياسياً، بالطرق التي كان بها عدد آخر نافعاً لنابليون في مصر. الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية : ١٧٨.

(٣) Agnes Murphy, The Ideology of French Imperialism 1817 - 1881 (washington : Catholic University of America press, 1948), pp. 46, 54, 36, 45.

من طلابهم، كما يقول الأب لوروا»، سبعة كانوا وزراء او سكرتيري دولة في مصر .. وان مدراء الخدمات الرسمية في لبنان وسوريا وفي دولة العلويين آنذاك كانوا جميعاً من طلاب العازاريين»[1]. كما «لم تحمل البعثات الفرنسية والتبشيرية التي توافدت إلىٰ سوريا ولبنان مشاريع مستقلة عن السياسة الفرنسية فيها، انما اقتصر أمر التمايز والاختلاف علىٰ المرحلة الاولىٰ من عمل اليسوعيين التي احتلت موقع الصدارة بين البعثات جميعاً»[2].

والطريف المثير ذكره هنا أنه «في الحرب العالمية الاولىٰ ترك المبشرون عملهم التبشيري وجعلوا يطوفون في المناطق ويجمعون المتطوعين لجيوش دولهم»[3].

ز ـ استعانة المستشرقين الفرنسيين، ضمن برامج المؤسسات السياسية الفرنسية، بالاقليات النصرانية واليهودية وامثالها القاطنة في البلدان الاسلامية، كمصدر للمعلومات الميدانية والرؤىٰ المباشرة للواقع، وكسند سياسي واقتصادي بل وعسكري للاستعمار الفرنسي[4]. ولانتشار المدارس التي رافقت عمل المبشرين، بحيث تحولت الخصوصيات الاجتماعية والطائفية الىٰ صراعات وولاءات ثقافية وسياسية تحتضنها الارساليات ويدعمها القناصل والتجار. وتحول الهدف الأساسي لتعليم المرسلين، بعد أن تداخل مع السياسة والتجارة، إلى اعداد «لعقول» تتلاءم مع الأوضاع الجديدة، و«نخب» ستتربع علىٰ رأس كيانات التجزئه التي فُرضت قسراً.

وكان لجبل لبنان؛ قبل أن تلحق به أقضية ومناطق في سوريا، ويتحول إلىٰ «دولة لبنان الكبير» عام ١٩٢٠ م، وبعد ذلك ايضاً؛ حصة وفيرة من نشاط البعثات وأهدافها. لا بل

---

(١) Revue d´historie des Missions. P. 522.

(٢) الدكتور عتريسي، طلال ـ البعثات اليسوعية : ١٦١.

(٣) الدكتور خالدي، مصطفىٰ والدكتور فروخ، عمر ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٢٤٤.

(٤) ويميط اللثام عن هذا الأمر ما اشار اليه كتاب السياسة الدولية في الشرق العربي حيث جاء فيه : «كانت بلاد الشام محطة نموذجية لنشاط البعثات واطماع الدول الاوربية وتنافسها». راجع اسماعيل عادل ـ السياسة الدولية في الشرق العربي ٤ : ١١٣ ـ ١١٦.

نقطة جذب قوية لها بسبب كاثوليكيتها من جهة، والحضور الفرنسي السياسي والعكسري والاقتصادي من جهة اخرىٰ. وهي عوامل أدّت الىٰ إلحاق سكان الجبل المسيحيين بفرنسا علىٰ جميع المستويات[1].

وفي اجواء هذه التحولات الاقتصادية السياسية والتدخل في شؤون الطوائف المحلية انتشرت بعثات التبشير والتعليم اليسوعية لتجعل لتلك التحولات ولذلك التدخل أُسساً فكرية «وجذوراً تاريخية»، «ففتحت نفوس الأهالي على الأفكار الفرنسية، وعلىٰ العواطف الفرنسية، واصبحوا فرنسيين نوعاً ما ... هذه السياسة تؤدي إلىٰ فتح بلد بواسطة اللغة»[2].

وهكذا حتىٰ أصبح الموارنة، مثلاً، في منتصف القرن التاسع عشر مركزاً لتلقي التأثيرات الثقافية والإقتصادية والسياسية الفرنسية. خاصة وان فرنسا أصبحت صاحبة «الحق» في «حماية مسيحيي الشرق» فتداخل آنذاك هذا الموقع المتقدم لفرنسا، قياساً إلىٰ الدول الاوربية الاخرىٰ، مع علاقاتها التاريخية مع الموارنة التي يعرب كل طرف عن شدة تمسكه بها وفقاً للظروف السياسة والدولية[3]. وتختلف الروايات التاريخية في تحديد هذه العلاقة، ما بين الدعم العسكري المتبادل أو الحماية المعنوية : فيقول بوديكور مثلاً: «عندما انطلق ملكنا سان لويس في حربة الصليبية، توقف في قبرص حيث لاقاه دعم ٣٥ ألف ماروني خاض معهم معركة مصر ..»[4]، «كما أرسل اليهم بونابرت مبعوثه قائلاً لهم : «اعترف إن الموارنة فرنسيين منذ الازل»[5]. ووجه ملك فرنسا

---

(١) الدكتور عتريسي، ـ البعثات اليسوعية : ٢٧.

(٢) Paul Huvelin - Conger´s Francais surga syrie - Fascicule 111. Chambre de commeree Marseille 1919 - p.7.8.

(٣) الدكتور عتريسي، طلال ـ البعثات اليسوعية : ٤٩.

(٤) Baudicour. Louis de: La France en syrie - Paris 1860 - p.6.

(٥) Rochementeix. C.P.J : Leban et l´ex Pédition Frandcaise en syrie 1860 - 1861 (Documents inédits du Général A.Ducroit Paris 1921 - p.79.

إلىٰ أمير الموارنة الرسالة التالية : «.. نحن مقتنعين بأن هذه الامة التي تنتسب إلىٰ القديس مارون هي جزء من الامة الفرنسية»[1]. كما كتب وزير البحرية الفرنسية عام ١٧٥٠ م إلىٰ القناصل الفرنسيين في الدولة العثمانية : «إن الرهبان الموارنة الذين يؤلفون رهبنة مارانطونيوس في جبل لبنان قد شملهم الملك بحمايته الخاصة في كل وقت، وقد توسطوا إلىٰ جلالته أن يجدّد تلك الحماية ويثبتها لهم، فتنازل جلالته واستجاب طلبهم وأوصاني أن أكتب إليكم أن تعاملوهم كما تعاملون المرسلين الفرنسيين الموجودين في الشرق من قبل جلالته ..»[2].

وتزداد هذه الحقيقة وضوحاً إذا عرفنا «إن فرنسا تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية مسيحيي المشرق أمام الباب العالي، وإن هذه المسؤولية تشكل دعماً أساسياً لقوتها في المشرق، ولا يمكن لرجال الدين الذين ترسلهم روما أن يتجاوزوا هذه الحماية القانونية والعملية»[3].

ولم يقتصر الامر على الطوائف المسيحية، بل استخدم اليهود في الشرق كرتل خامس ورجال المعلومات الخاصة[4].

ح ـ توصية المستشرقين الفرنسيين لحكوماتهم المتعاقبة علىٰ اعتماد اسلوب التجزئة للبلاد الاسلامية، وتدمير البُنىٰ الاساسية لها ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، وتركهم ضعفاء لا يملكون القدرة علىٰ مواجهة تيار العلمانية الفرنسية الجديد. ولعل من ابرز من كان لهم الدور الاساسي في تنظير هذه التوصيات هو ماسنيون احد اكبر أئمة المدرسة

---

(١) المصدر : ٧٠.

(٢) الخورس بطرس غالي ـ «فرنسا صديقة ومحامية» : ٣٢٦ ـ ٣٢٧. ذكره كوثراني، المصدر السابق : ٤٤.

(٣) شقالبيه دومينيك، مجتمع جبل لبنان : ٢٦١.

(٤) فمثلاً «عندما قامت الثورة الفرنسية التي لعبت اليهودية الفرنسية فيها دوراً خطيراً، قامت اليهودية العالمية بخدمات جليلة لحساب نابليون بونابرت، حيث تحول اليهود في اوربا وفي الشرق العربي الىٰ طابور خامس يعمل لحساب جيوش بونابرت، وتقديراً لتلك الخدمات التي تبلغ مرتبة الخيانة العظمىٰ لشعوب دول روسيا القيصرية، أعلن نابليون هيئة السنهدريون، وكوّن فرقة من اليهود لاعادتهم إلىٰ فلسطين، الاّ ان المشروع لم يتحقق لظروف لم تكن مواتيه». السعدين، مصطفىٰ ـ اضواء علىٰ الصهيونية : ١٠.

الاستشراقية الفرنسية خصوصاً عندما اصبح مستشاراً لوزارة المستعمرات الفرنسية، وتدلنا الوثائق العديدة التي نشرت وما زالت تنشر بان فرنسا، قبل وبعد دخولها إلىٰ الشام، قد قامت من خلال الاستعانة بالمستشرقين وتوصياتهم بعدة دراسات عن الوضع الاجتماعي والطائفي والاقتصادي .. وانها قد صممت سياسة فرنسية خاصة بها تقوم علىٰ تصورات دقيقة ومتعددة، منها ما يخص تصميم البنية السياسية، وبناء الدولة واقامة الأنظمة الطائفية، أو تسليط طبقة معينة من النصارىٰ علىٰ المؤسسات السياسية والثقافية والاقتصادية الحساسة .. وهذه كلها تهدف إلىٰ نقطة جوهرية واساسية هي ضمان إبعاد الاسلام عن مسرح الحياة والنشاط السياسي والثقافي، وخلق انظمة علمانية وإعداد الكوادر والقيادات السياسية المواكبة لها[١ ٢].

وبنفس الاتجاه يوصي القس سيمون حكومته الفرنسية قائلاً: «إن الوحدة الاسلامية تجمع آمال الشعوب السمر وتساعدهم علىٰ التخلص من السيطرة الاوربية» .. ولذا «قالوا يجب أن تحوّل بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الاسلامية»[٣].

وعلىٰ ضوء ذلك فقد قام الاستعمار الفرنسي بانشاء كيانات مجزأة سياسياً واقتصادياً وسكانياً، وفقا للنماذج والأشكال القومية الغربية والعلمانية، وبذلك يتمكن الاستعمار الفرنسي وشركاؤه أن يطمئنوا الى أن البلاد الإسلامية أصبحت لا تشكل خطراً علىٰ نفوذهم ومصالحهم حاضراً ولا مستقبلاً، فالمسلم في «تشاد» هو «تشادي» لا علاقة له

---

(١) للمؤلف ـ السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ١١٠.

(٢) كما جاء أيضاً في تقرير «ديبوسك» إلى وزارة الخارجية الفرنسية : «لقد تسنىٰ لي في القاهرة وبيروت ودمشق أن أطلع علىٰ الآراء الحميمة التي باح لي بها بعض المسلمين الذين يحتلون مراكز مرموقة، فلقد صرح لي هؤلاء ببساطة أن الوفاق مع المسيحيين يبدو في نظرهم ضرورياً، لأن المسيحيين هم اذكىٰ منهم، وخصوصاً اكثر ثقافة منهم، وبالتالي فهم اجدر في اظهار مطالباتهم الخاصة، ومن جهتهم فلقد صرح لي مسيحيون أعضاء في المجالس ـ يقصد مجالس اللجان العربية ـ بانهم لا يرتجون عن طريق انضمامهم إلىٰ صفوف المسلمين سوىٰ تدخل فرنسا، وفضلاً عن ذلك فانهم ـ اي المسيحيين ـ خلافاً لما يعتقده المسلمون، يرون أنه ليس بامكان سورية أن تحكم نفسها بنفسها، الاّ انهم يتجنبون مواجهة المسلمين بذلك». الكوثراني، وجيه ـ بلاد الشام : ٣١٦.

(٣) الدكتور خالدي، مصطفىٰ والدكتور فروخ، عمر ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٣٧.

بما يجري في «المغرب» أو «تونس» لان الاخرين «مغاربة» أو «تونسيين» .. وهكذا الامر في كافة انحاء العالم الاسلامي[1].

ط ـ اعتماد اسلوب تربية وإعداد قادة ومفكرين للعالم الاسلامي علىٰ النهج العلماني من خلال الجامعات الفرنسية التي يشرف عليها كبار رجال الاستشراق الفرنسي المتميزين بقدرتهم علىٰ الدس في الاسلام وتشويه صورة مجتمعاته الاسلامية. وكان علىٰ رأس اساتذة ومنظري هذه الاطروحة هو المشرف الروحي للكنائس المسيحية البروتستانتية الفرنسية لما وراء البحار والمستشرق الشهير ماسنيون، الذي تعهد مجموعة من انبغ رجال الشرق ـ كما يصفهم ـ حتىٰ قال بشأن احدهم وهو «ميشيل عفلق» مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي الذي ظل يلعب دوراً اساسياً في قيادة بعض الانظمة العلمانية في الشرق الاوسط طيلة الفترة بعد الحرب العالمية الثانية : «بانه أنبغ وأعز تلميذ في حياتي»[2].

وكان لابد من التمهيد لهذا الامر عن طريق تشويه صورة الاسلام في كتب وبرامج التعليم المعتمدة في المدارس والجامعات المؤسسة بهدف صياغة وإعداد الكوادر والقادة السياسيين علىٰ الطريقة العلمانية الفرنسية، فقد جاء في كتاب «البحث عن الدين الحقيقي»، الذي صدر عن مؤسسات التعليم الفرنسي في باريس وعاش هذا الكتاب في المدارس النصرانية في الشرق والغرب حتىٰ اليوم : «بأن الاسلام عدو للمسيحية وإنه أُسس بقوة السيف، وقام علىٰ أشد انواع التعصب .. ويؤكد هذا الكتاب ـ ايضاً ـ بأن

---

(١) للمؤلف ـ السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ٧٥.

(٢) بلوط، علي ـ دمشق .. اعدام البعث / مجلة الدستور اللبنانية.

(٣) ويتحدث الباحث الفرنسي «دانيال لوغاك في كتابه «باسم فلسطين» عن دور فرنسا أيام الاحتلال في تنمية ورعاية حزب البعث فيقول : «إن ميشيل عفلق، وبدرجة اقل من صلاح الدين البيطار «الابوين المؤسسين للبعث» مدينان جزئياً لفرنسا بتأليف الحزب الاكثر تماسكاً والأكثر تأثيراً في العالم العربي بأسره». دانيال لوغاك ـ باسم فلسطين / اصدار البعث العربي الاشتراكي ـ سلسله الدراسات السياسية : ٦٤.

الرسول صلى الله عليه وآله قد سمح لاتباعه بالفجور والسلب»[1].

وقد حملت مؤسسات اليسوعيين علىٰ تنوعها، أهدافاً تتكامل فيما بينها، من نشر الثقافة الفرنسية، وسيطرة لغتها وافكارها، إلىٰ اعداد «النخبة القائدة» التي تمثل الهدف الرئيسي بينها، «لأن إعداد النخبة المسيحية .. يسمح لهذه الجماعة التي أثقل كاهلها النير الاسلامي، أن تتحضر شيئاً فشيئاً. وقد أعد المرسلون لساعة الحرية، طبقة وسطىٰ قادرة علىٰ انتزاع الفائدة، ونخبة ذكيّة، مثقفة ومؤهلة لقيادة الامم المحررة .. انه لواجب علىٰ المرسلين ان يطوروا النخبة الأهلية ويضاعفوها، وذلك بانتظار اليوم الذي ستترك فيه سوريا ولبنان، لكن هناك شيء يجب الانتباه والاشارة اليه، ذلك إن النخبة لا تبقىٰ كذلك إلاّ إذا سيطرت، وإذا أردنا توسيع هذه النخبة، فيجب ألاّ نخفض مستواها بأن نفتح المجال أمام الجميع لتولي المراكز والمسؤوليات، وذلك تفادياً للاخلال بالتوازن والانسجام الاجتماعي في البلد»[2]. ويرىٰ بعضهم «إن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي اكثر من كل قوة أُخرىٰ، ثم ان هذا التأثير يستمر حتىٰ يشمل اولئك الذين سيصبحون يوماً ما قادة في اوطانهم»[3]، ويؤكد آخرون علىٰ أنه «كان للمبشرين غاية من التعليم العالي، هي أن يؤثروا في قادة الرأي في البلاد، وفي الجيل الناشيء في الشرق الأدنىٰ خاصة، ذلك التأثير الذي لا يمكن أن يتحقق اذا لم يكن ثمة تعليم عال»[4]. وعلىٰ هذا الاساس اوجد المبشرون البروتستانت كلية في بيروت عام ١٨٦٢ م وجعلوا علىٰ رأسها المحترم «دانيال بلس». هذه الكلية اصبحت فيما بعد: الكلية السورية الانجيلية ثم هي اليوم الجامعة الامريكية في بيروت.

ومن رأي المبشرين أن تؤسس الكليات في المراكز الاسلامية، ولذلك لم يكتفوا ببيروت بل أرادوا ان تكون ثمة كلية في القاهرة نفسها إلىٰ جانب الأزهر .. ولم يكن رأي

---

(١) الدكتور خالدي، مصطفىٰ والدكتور فروخ، عمر ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٧٢.

(٢) Revue d´historie des Missions p.334.335.

(٣) Milligan 124 - 5.

(٤) Milligan 164.

المبشرين الفرنسيين مخالفاً لذلك فأنشأوا كلية لهم في مدينة لاهور، وهي مدينة من المدن الاسلامية الكبرىٰ[1].

ي ـ انتهاج طريقة احياء الفكر القومي والطائفي، والدعوة الىٰ تنظيم الحركات القومية العلمانية والطائفية علىٰ اساسه، لتكون الاساس في حركة المجتمع الاسلامي السياسية. ولا تنفرد المدرسة الاستشراقية الفرنسية بهذه الميزة نظرياً بل انها تمثل رؤية عامة لدىٰ كافة المدارس الاستشراقية، فهذا المبشر الشهير «صموئيل زويمر» أحد كبار المستشرقين يقول : «إن أول ما يجب عمله للقضاء علىٰ الإسلام ايجاد القوميات»[2]، وعلىٰ ضوء ذلك «ولدت فكرة القومية اللبنانية المسيحية. هذه الفكرة التي شجعتها الأوساط السياسية الدينية الفرنسية، ميّزت تلك الفترة من تاريخ لبنان»[3]، ولابد لاجل تحقيق هذا الهدف الكبير من توفير المستلزمات الأساسية لذلك خصوصاً علىٰ أرض الشرق وفي وسط مجتمعاته فعمدوا الىٰ انشاء المدارس والجامعات التي تقوم أساساً علىٰ التنظير للفكر القومي والطائفي وتتعهد طلابها بالاعداد والتربية وفق منهج ذلك الفكر واساليب التعليم الغربية المتبعة في اوربا، ومن ابرز امثلة ذلك هو «قيامهم في عام ١٨٦٥ م بانشاء الكليّة السوريّة الانجيلية [الجامعة الامريكية حالياً] في بيروت والتي وصفت جريدة «الديار» ـ في عددها المرقم ١٩١١ الصادر في ١٠ تموز ١٩٤٩ م ـ طلابها بأنهم [رسل القومية العربية الىٰ انحاء الشرق العربي] »[4].

وكان اول ثمرةٍ لهذا التخطيط المدروس «عصبة العمل القومي» وهي أول منظمة قومية ولدت في ظروف التصارع بين أطراف الاستكبار العالمي حينذاك، وخصوصاً بين الفرنسيين والانجليز .. وكانت فرنسا قد ثبّتت نفوذها في لبنان وسوريا وأوجدت لها قواعد فكرية وسياسية، وامتلكت العديد من المؤسسات الثقافية كالجامعات

---

(١) الدكتور خالدي، مصطفىٰ والدكتور فروخ، عمر ـ التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٧٩.
(٢) مجلة الجهاد ـ ليبيا : العدد ١٤.
(٣) الصليبي، كمال ـ تاريخ لبنان الحديث : ١٥٢.
(٤) محلة الجهاد ـ ليبيا : العدد ١٤.

والمدارس ونحوها، والتي اصبحت فيما بعد بمثابة مراكز لتخريج كوادر سياسية وفكرية مدربة لصالح فرنسا[1].

ك ـ إنشاء الكليات والمعاهد العلمية والثقافية في البلاد الاسلامية تحت اشراف وادارة المستشرقين الفرنسيين واعتمادها كوسيلة لنشر الفكر العلماني المعادي للاسلام. وباستقراء لنماذج مختارة من المشاريع التعليمية لفرنسا في الشرق يظهر بوضوح الهدف التخريبي المعادي للاسلام من إنشائها. منها إنشاء اول بعثة يسوعية في سوريا عام ١٦٢٦ م والتي كانت تدار من قبل المشرف العام في «فرنسا ـ ليون»، والتي نقلت إلىٰ بيروت سنة ١٨٧٥ م، فانها بعد ذلك تحولت إلىٰ ما يسمىٰ بـ«جامعة القديس يوسف»، وفي عام ١٨٨١ م اعترف البابا «ليون الثالث عشر» بالصفة الجامعية لهذه المؤسسة، والذي أنشأ بأمر كنسي «كلية الفلسفة والعلوم الدينية للدراسات الشرقية» [اي الإستشراقية][2]. وقد توسعت هذه المؤسسات التعليمية بعد ذلك توسعاً كبيراً في لبنان وسوريا وشمال افريقيا، وشكّلت عنصراً أساسياً في الكيان الاستكباري الفرنسي لما تمثلته من أهداف كبرىٰ له، فقد «كان لابد من إنشاء طبقة حاكمة لهذا الشعب المسيحي المستعبد والمنهك من قبل المشركين، كان لابد من تشكيل طبقة وسطىٰ. يضاف إلىٰ ذلك إن مجمل هذا الجزء من الشرق الأدنىٰ كان بحكم الواقع ومن خلال علاقاته الطبيعية قد انجر وراء حضارة الغرب الماديّة، وبدل الوقوف ضد تيار لا يقاوم فضل السير معه. والاكثر من ذلك هو أن اليسوعيين في سوريا كانوا يسعون الى تصدير هذا التيار لكي يتسنىٰ لهم قيادته»[3]. وحينما فرض الانتداب الفرنسي علىٰ سوريا ولبنان عام ١٩١٩ م فرض معه منهاج التعليم الرسمي الذي كان يساعد المبشرين في اعمالهم[4]،

---

(١) لكاتب المقال ـ السياسة الفرنسية في الشرق الاوسط : ١١٥.

(٢) مجلة المنتقىٰ / العدد الاول ؟ ابريل ١٩٨٣ م : ٦٩.

(٣) شارلس ـ تقرير عن البعثات اليسوعية ـ باريس ١٩٢٩ م / عن مجلة المنتقىٰ / العدد الاول ٦٩.

(٤) Les jesuites en syrie 10 : 65.

«وكانت مدارس الارساليات الكاثوليكية تحبب فرنسا الى التلاميذ النصارىٰ»[1].

يقول ساطع الحصري وزير التربية السوري في عهد فيصل: «إن النظم العديدة التي وضعت في سوريا، في عهد الانتداب الفرنسي انّما كانت تنفيذاً لسياسة مرسومة بوضوح واتقان، ونستطيع أن نقول إن غاية هذه السياسة كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية علىٰ معارف البلاد سيطرة مطلقة من غير التفات الى ما تتطلبه اصول التربية السليمة والعلم الصحيح. انها كانت «تعطي للغة الفرنسية وللشهادات الفرنسية امتيازات مهمة، وتتحيز للمعاهد التعليمية الفرنسية تحيّزاً مفرطاً، يجعلها احياناً -ليست صاحبة امتياز فحسب- بل صاحبة انحصار واحتكار ايضاً»[2].

ومن تلك النماذج ايضاً انشاء كلية الطب في سوريا والتي عبّر عنها السفير الفرنسي في القسطنطينية بالاشادة بـ«غامبيثا» والكاردينال «لافيجري» صاحبا فكرة الكلية [كلية الطب] اللذان أرادا إيجاد مدرسة فرنسية في سوريا يؤمها شبان البلد من أجل العلوم الطبية، والتعمق في دراسة لغتنا، كي ينتشروا فيما بعد في انحاء الشرق كافة كاصدقاء لنفوذنا وحضارتنا ...»[3].

وفي عام ١٨٨٩ م أُلحق بكلية الطب كلية الصيدلة. ومنذ ذلك الحين الغي التمييز بين الدبلوم الفرنسي وبين الدبلوم المعطىٰ في بيروت. كما أُلحقت كلية الطب في بيروت بكلية الطب في ليون وأُتبعت مالياً للمساعدات الحكومية. وهكذا غدت مع كلية الصيدلة «أرضاً رائعة للتوسع الفرنسي، تخرج منها حوالي ٥٣٥ طبيباً، يحملون الدبلوم الفرنسي، ويبشرون بنفوذنا، وبفعالية طرائقنا العلمية لا في سوريا فقط، بل في

---

(١) ibid, 2 : 8.

(٢) تقارير عن احوال المعارف في سورية / عن الدكتور الخالدي، مصطفىٰ والدكتور فروخ، عمر - التبشير والاستعمار في البلاد العربية : ٨٦

(٣) ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية - رسالة من سفير فرنسا في القسطنطينية الىٰ وزير الشؤون الخارجية في اكتوبر (ت ١) ١٨٩٨ م / عن الدكتور عتريسي، طلال - البعثات اليسوعية : ١٣٠.

الامبراطورية العثمانية بأسرها، وحتىٰ في فارس ومصر ...»[1].

ويؤكد الهدف غير العلمي لمثل هذه المعاهد والكليات تحديد أحد المسؤولين الفرنسيين لأهداف كلية الطب اليسوعية في بيروت قائلاً: «إن غاية المؤسِّسين [غامبيثا والكاردينال لافيجري] الأولىٰ، أن يجعلا من هذه الكليّة فكرة سياسية ومؤسسة دعائية..»[2].

والذي يؤكّد هذه السياسة الفرنسية الوثائق الدامغة المتمثّلة في مراسلات القناصل السياسية الفرنسية[3].

---

(١) r. Ristelhueber ^ Traditions Francaises au Liban paris 1918 p. 279.

(٢) الدكتور عتريسي، طلال ـ البعثات اليسوعية : ١٢.

(٣) نشير الى نماذج منها :

١ ـ وثيقة رقم (١) :

تركيا ـ بيروت مجلد رقم (٢) ١٨٤٠ ـ ١٨٤١ م

بيروت ١٨ كانون الثاني (يناير) ١٨٤١ م

من ج. بريتون الى الوزير غيزو سكرتير الدولة في وزارة الشؤون الخارجية.

...كنت قد قدمت في شهر آيار عام ١٨٤٠ م، إلى حضرة وزير الشؤون الخارجية، بعض الملاحضات حول انشاء كلية في سوريا. وكانت الموافقة قد تمت علىٰ تصميم المشروع في روما في بداية ١٨٣٩ م ... هذه المؤسسة ستؤثر بشكل ايجابي جداً علىٰ مصالح فرنسا راهناً ومستقبلاً. لانها ستلبي حاجة ملحة لدىٰ المسيحيين، وستنشر بينهم، تحت الاشراف الفرنسي، المعارف الأخلاقية، والعلمية، والصناعية ... إن مسيحيي لبنان وسوريا باكملها يتمنون افتتاح كلية آسيوية لانهم يشعرون بانها ستكون نواة انبعاثهم الاجتماعي ... حين ننشر في هذا البلد بواسطة اللغة الفرنسية، التعليم، والاخلاق، والفنون المفيدة، والزراعة، فإننا سنسيطر علىٰ الشعب، وسيكون لفرنسا هنا في كل وقت جيش متفان.

٢ ـ وثيقة رقم (١٤) : ـ مراسلات القناصل السياسية تركيا ـ بيروت ـ مجلد رقم (٢).

إن الامبراطورية العثمانية تتلاشىٰ. لكن سوريا بموقعها الجغرافي بين آسيا الصغرىٰ ومصر، تعتبر مركز هذه الامبراطورية، لا بل قلبها، كما تملك في الوقت نفسه امكانية لإعادة الحياة التي انحسرت عن اطراف هذا الجسم الكبير.

اما أمر ذلك فمنوط بفرنسا، بأن تؤسس وسط الشعب السوري كلية كبيرة دينيّة، مدنيّة، وزراعيّة، يكون هدفها إدخال الحضارة الفرنسية الىٰ سوريا، وتعميم اللغة الفرنسية فيها، وتأمين هيمنة بلدنا علىٰ منطقة خصبة ومنتجة وفي خلال علاقاتنا المزدوجة، السياسية والتجارية، مع هذا البلد، يمكن أن نجني اكثر العلاقات نفعاً ...

إن انشاء مؤسسة تكون في الوقت نفسه كليّة دينيّة، ومزرعة نموذجية، ومدرسة للفنون والمهن، ليس خرافة، فقد وافق الأب القديس «غريغور السادس عشر» علىٰ تصميم المشروع وأمر بتنفيذه. والأساتذة حاضرون. إنهم رجال كرام من جمعية يسوع تطوعوا بملء إرادتهم لهذا العمل .. هكذا نجعل من سوريا حليفاً أكثر أهمية من ←

ل ـ تبنّي العمل الاستشراقي وتزويده بكل عوامل القدرة والحركة بهدف أن تكون فرنسا كعبة للاستشراق ومدارسه، وجعل اللغة الفرنسية بديلاً اساسياً عن اللغة العربية. ولهذا نجد ان العلاقة علىٰ مستوىٰ التخطيط والتنظير بين الاستشراق والتبشير من جهة والتوجهات الاستعمارية الفرنسية من جهة أُخرىٰ، علاقة موضوعية مترابطة، كعلاقة اجزاء الشيء الواحد ببعضها، وتنعكس هذه العلاقة علىٰ الواقع العملي لتكشف بشكل اوضح، عند المتتبع الهادف، الترابط الميداني بين هذا الثالوث المبرمج، بشكل لا يمكن فصل احدها عن الآخر، والاّ اختلّت المعادلة وتخلفت النتائج الحقيقية المستهدفة عن التحقق في الواقع، وهذا يفسّر لناكيف أن فرنسا تريد أن تصبح قبلةالاستشراق والتبشير العالمي لتضمن لنفسها حركة استعمارية واسعة وفاعلة في عمق الشرق وبأكبر مدىٰ زماني ممكن.

ويؤكد ذلك «ان الدراسات الشرقية التي شاعت مجدداً والتي بدت بالفعل وكأنها عصر نهضة، زودت الرومانتيكيين بكنوز من المعلومات. ومع ذلك فان جذور الاستشراق العلمي ترجع الىٰ اهتمامات حركة التنوير. وكان كل شخص في اوربا يرغب في التعرف بطريقة وافية علىٰ لغات الشرق الادنىٰ وحضاراته يتوجه الىٰ مدرسة اللغات الشرقية الحيّة في باريس التي اسستها حكومة المؤتمر الثورية (الكونتانسيون) في مارس ١٧٩٥ م بايعاز من لانغليز. وقداصرّ هذا الاخير بصورة خاصة علىٰ عنصر الفائدة العملية، ولكنه أكّد أيضاً ما يمكن أن تسهم به اللغات الشرقية في تقدم الأدب والعلم»[1].

→ مستعمرة. لانها ستكون منتجة لنا دون ايّ تضحية في المال والانفس.

إذن يجب ألّا نناقش مسألة إرسال اليسوعيين إلى سوريا ـ بل علينا أن نعمل لجعل وجودهم في هذا البلد مفيداً لمصالح فرنسا. على أيّ حال، يجب الاعتراف بان اليسوعيين هم خير العاملين.

«دون توقيع ودون تاريخ ومن المحتمل انها كتبت بين عامي ١٨٤٠ ـ ١٨٤٤ نسبة الىٰ وثائق اخرىٰ».

جميع الوثائق المشار اليها اعلاه عن الدكتور عتريسي، طلال ـ البعثات اليسوعية : ٩١.

(١) Fück, op. cit, p. 141.

ومن المفارقات أن يكون الرائد الكبير في هذا المجال هو «سلفستر دوساسي»، والذي أصبح استاذ جميع المستشرقين الاوربيين، وأصبحت باريس الكعبة التي يؤمها جميع الذين يرغبون في التخصص بدراسة الشرق الادنى [1] .. وبقي اسلوبه في العمل حتىٰ يومنا هذا هو الاسلوب الذي يتبعه عدد كبير من المستشرقين [2] .

وفي سعيهم الهادف الى جعل اللغة الفرنسية بديلاً أساسياً عن اللغة العربية كتب المستعمرون الفرنسيون في أحد التقارير التي وضعت سنة ١٨٤٨ م : «إن الجزائر لن تصبح فرنسية إلاّ عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها. والعمل الجبار الذي يتحتم علينا انجازه هو السعي وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الاهالي الى أن تقوم مقام العربية، وهذا هو السبيل لاستمالتهم إلينا، وتمثّلهم بنا، واندماجهم ، وجعلهم فرنسيين» [3] .

م ـ الدعوة الى بعث الحضارات القديمة واحياء اللغة العامية مقابل اللغة العربية الفصحىٰ. ولا يخفىٰ ان الهدف من وراء هذا الاسلوب هو اعادة الشرقيين الى اصولهم الجاهلية قبل الاسلام، وابعادهم عن اصول ومصادر دينهم الحنيف [4] .

وفي سبيل احياء اللغة العامية مقابل اللغة العربية الفصحىٰ يقول المستشرقون وتلاميذهم بكل قوة : «إن لغة القرآن الفصحىٰ إنما هي لا تساير حاجات العصر، فيجب

---

(١) Fück, op. cit., pp. 140 58; H. Dehérain, silver de Sacy, ses contemporains et ses sicciples (paris, 1938).

(٢) شاخت وبوزورث ـ ترجمة الدكتور السمهوري، محمد زهير ـ تراث الاسلام «القسم الاول» ـ عالم المعرفة : ٧٥.

(٣) الدكتور عمارة، محمد ـ الامة العربية وقضية التوحيد : ٩٦ ـ ٩٧.

(٤) يقول المستشرق الشهير «جب» : .. وقد كان من أهم مظاهر فرنجة العالم الاسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن، فمثل هذا الاهتمام موجود في تركيا وفي مصر وفي اندونيسيا وفي العراق وفي ايران، وقد تكون اهميته محصورة الآن في تقوية شعور العداء لاوربا، ولكن من الممكن أن يلعب في المستقبل دوراً مهماً في تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها». جب ـ وجهة الاسلام : ٣٤٢.

أن تعم اللغة العاميّة حتىٰ تصبح لغة الجرائد والمؤلفات»[1]. وقد تكررت منهم هذه الدعوة بصورة شائقة جذّابة كسبت تأييد المثقفين في مصر وأوقفتهم بجانبها، وقد عنيت حكومات الاحتلال وبعيدو النظر من الولاة والمستعمرين والمفكرين الغربيين بهذاالموضوع عناية فائقة، ونشطوا في تحبيب هذه الفكرة وترويجها، وقد كان لهذه الدعوة دوي في مصر في فجر هذا القرن أفزع كثيراً من المحبين للاسلام والغيارىٰ علىٰ اللغة العربية»[2].

٥ـ اثر المدرسة الاستشراقية الفرنسية علىٰ الفكر الاستشراقي العام:

خلال السنوات الاولىٰ من القرن العشرين، كان بامكان رجال مثل بلفور وكرومر أن يقولوا ما قالوه، وبالطريقة التي بها قالوه، لأن تراثا من الاستشراق، أقدم من تراث القرن التاسع عشر، زوّدهم بمفردات، وصور، وبلاغة، ومجازات ليقولوه بها. ومع ذلك فإن الاستشراق عَزّز، وعُزّز بالمعرفة الاكيدة لكون اوربا أو الغرب تسيطر، بمعنىٰ الكلمة الحرفي، علىٰ الجزء الاعظم من سطح الارض. ذلك أن مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق وفي مضمونه تواكبت تماماً مع مرحلة التوسع الاوربي الفريد. فمن ١٨١٥ م إلىٰ ١٩١٤ م اتسع مجال السيطرة الاوربية الاستعمارية المباشرة من حوالي ٣٥٪ من سطح الارض الى حوالي ٨٥٪ منه. وقد تأثرت بهذا التوسع جميع القارات، وبشكل خاص افريقيا وآسيا. وكانت الامبراطوريتان العظميان الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية، اللتان كانتا حليفتين وشريكتين في بعض الاشياء، ومتنافستين ومتعاديتين في اشياء اخرىٰ؛ وكانت ممتلكاتهما المستعمرة ومجالات نفوذهما الامبراطورية في الشرق، من شواطيء المتوسط الشرقية إلىٰ الهند الصينية، والملايو، متلاصقةً، واحياناً كثيرةً، متداخلةً؛ وكثيراً ما دارت حولها الحروب، غير أن

---

(١) حسين، محمد محمد ـ الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر : الجزء الثاني.
(٢) الندوي، السيد ابو الحسن علي الحسيني ـ الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية : ١٨٦.

الشرق الادنىٰ أو بلدان الشرق الادنىٰ والعربي حيث كان الاسلام قد حدّد الخصائص الثقافية والعرقية، كان المجال الذي واجه فيه البريطانيون والفرنسيون احدهما الآخر، و«الشرق» باكثر درجات الحدّة والتوتر، والالفة، والتعقيد. وطوال معظم القرن التاسع عشر، كما قال لورد ـ الزبري عام ١٨٨١ م، كانت وجهة نظرهما المشتركة للشرق إشكالية بصورة معقدة : «حين يكون لديك ... حليف وفيٌّ مصمّم علىٰ أن يتدخل في بلد أنت عميق الاهتمام به ـ فإن أمامك ثلاثة سبل للتصرف؛ فقد تشجب، أو تحتكر، او تشارك. أما الشجب فإنه كان سيؤدي إلىٰ وضع الفرنسيين عبر طريقنا إلىٰ الهند؛ والاحتكار كان سيعني الاقتراب جداً من المخاطرة بالحرب. وهكذا عقدنا العزم علىٰ المشاركة»[1].

وقد شاركوا فعلاً .. إلاّ أن ما شاركوا به لم يكن ارضاً أو أرباحاً أو حكماً وحسب، بل كان القوة الفكريّة التي ما فتئتْ اسميها الاستشراق. وبمعنىٰ ما، كان الاستشراق مكتبة او سجل حفظ (أرشيفاً) من المعلومات المشتركة، وفي بعض جوانبها، الممتلكة بصورة جماعية، وكان ما يضم هذا الملف إلىٰ بعضه بعضاً أسرة في الافكار، وطقماً من القيم الموحدة برهن بطرق مختلفة أنها فعّالة[2].

إن المبادرة والسبق الذي تميزت به المدرسة الاستشراقية الفرنسية وتبنيها لمنهج يتناول اساسيات العمل الاستشراقي جعل من باريس كعبة لجميع المستشرقين الاوربين، الامر الذي أثّر علىٰ مجمل المدارس الاستشراقية الاوربية في الطريقة والاسلوب، وفي المنهج والاهداف .. ويثبت هذه ما قاله كل من شاخت ويوزورث وهما يسردان اصول واثار الاستشراق الفرنسي علىٰ عموم الاستشراق الاوربي[3].

---

(١) سعيد، ادوارد ـ الاستشراق : ٧٢.
(٢) المصدر.
(٣) راجع شاخت وبوزورث ـ ترجمة الدكتور السمهوري، محمد زهير ـ تراث الاسلام «القسم الاول» ـ عالم المعرفة : ٧٤ - ٧٥.